# بين الماضي والحاضر

نانسي فاعور

لا يحدث شيء في هذا العالم بلا سبب، حتى الحروب. فالحروب تُبنى ببطء، بهدوء، وبشكل شبه غير مرئي. كل يوم تتراكم التفاصيل الصغيرة، يزداد التوتر، تشتد الكلمات، وتتآكل الثقة، حتى نصل فجأة إلى نقطة اللاعودة. إنها النقطة الفاصلة، عندها تستيقظ لتجد نفسك في قلب حرب، حرب بين أناس تحبهم، من دون أن تعرف حقًا دوافعهم. ما كان يبدو خلافات بسيطة أو مواقف مِن فقدان الثقة يتحوّل إلى نار مشتعلة. فتتساءل: كيف تحوّل شيء عادي إلى حرب؟

لم أعش الحرب الأهلية اللبنانية، لكنني كبرت وأنا أشعر بثقلها بطريقة ما. تلك الحرب شكّلت كل ما يحيط بي: طريقة كلام الناس، نظراتهم إلى بعضهم البعض.

مع أنَّ صدى طلقات الرصاص خمد، فإنَّ حضورًا أعمق ما زال قائمًا، يستمر في تشكيل حياتنا بعد زمن طويل من توقف المعارك.

أتذكر المرة الأولى التي شاهدت فيها فيلم " بيروت الغربية" وأنا في المدرسة الثانوية. لم يُصدم قلبي فقط من الرصاص والحواجز، بل من استمرار الحياة حولها: الأطفال بقوا يلعبون، الأصدقاء يختلفون، والناس يضحكون. وفي مرة أخرى، شغّلت معلمة أغنية فيروز" لبيروت". لم أفهم لماذا شعرت بضيق في صدري، لم أعش الدمار الذي غنّت عنه، لكنني ـ بطريقة ما ـ شعرت به.

هذه اللحظات جعلت الحرب أقرب إليّ مما فعل أي كتاب تاريخ. كشفت لي أن الماضي لا يزال يتنفس من خلال الثقافة، العاطفة والصمت. لذلك أريد أن أستكشف كيف ما زالت ندوب الحرب تؤثر فينا اليوم؛ ندوب صاغها عنف غير مرئي. عنف يتجلى في أفكارنا، في تعاملنا مع بعضنا البعض، وفي الأنظمة التي نعيش داخلها. إلى جانب ذلك، تترك الحرب خلفها جراحًا نفسية وأعباء اقتصادية نعيشها يوميًا.

العنف غير المرئي ليس متعلقاً بما نراه، بل ما نحمله بداخلنا ولا نجد دائمًا الكلمات لشرحه. في الحرب الأهلية اللبنانية، كثيرون ممن لم يُصابوا جسديًا جُرحوا بطرق أعمق وأكثر صمتًا. انقلب الناس على بعضهم البعض، ليس لخلافات شخصية، بل بسبب الدين، أو الطائفة، أو الجماعة التي قيل لهم أن يتبعوها. أعتقد أن كثيرين لم يرغبوا فعلًا في الحرب، كانوا فقط يطيعون الأوامر، وانجرفوا في تيار أكبر منهم. بعض الشبان حملوا السلاح للمرة الأولى في حياتهم وشعروا بالقوة، لكنهم لم يفهموا الثمن. وماذا يبقى عندما يزول هذا الشعور ولا يبقى سوى الحزن؟ حين تفقد/ين شخصًا تحبه/ تحبينه، تبقى أسئلة تطاردك: هل كان الأمر يستحق؟ لماذا حدث هذا؟ فكّر/ي في الأم التي فقدت ابنها، أو الابنة التي فقدت أباها، مصدر قوتها الوحيد. كيف واصلت الحياة؟ لا بد أنها عاشت بألم، مرارة وغضب تجاه أناس لم تعرفهم يومًا. هذا الغضب يصبح موروثًا، يُتناقل ليس بسبب الحقيقة، بل بسبب الصمت وسوء الفهم. وهذه واحدة من أكثر

تـرِكات الحـرب إيلامًـا: أنهـا تسـتمر تعيـش فينـا حتـى بعـد أن تنتهـي.

ومـاذا عـن الأطفـال الذيـن كبـروا علـى أصـوات الرصـاص، وشـهدوا المـوت، وفقـدوا حقهـم فـي طفولـة عاديـة؟ هـل تعتقد/يـن أنهـم كبـروا بـلا نـدوب أو ألـم أو صدمـات؟ لقـد صـاروا بالغيـن، لكـن كثيريـن منهـم مـا زالـوا يحملـون أثقـال الماضـي. كل مـرة يسـمعون فيهـا طلقـة، يعـود الخـوف ويقبـض عليهـم مـن جديـد. هـذا العنـف غيـر المرئـي جـزء مـن وجودنـا اليومـي. شـكّل الطريقـة التـي نتعامـل بهـا مـع بعضنـا، والطريقـة التـي نربـي بهـا الجيـل الجديـد. إنـه لا يخـص الماضـي فحسـب، بـل يؤثـر علـى حاضرنـا ومسـتقبلنا أيضًـا.

إن تروما الحـرب لا تطـال فقـط مـن قاتـل فيهـا؛ بـل تطالنـا جميعًـا، حتـى مـن لـم يكونـوا وُلدوا/وُلـدن وقتهـا. إنهـا تظهـر فـي تعاملنـا مـع بعضنـا البعـض. لهـذا مـن المهـم أن نعتـرف بالعنـف غيـر المرئـي، أن نفهـم النـدوب التـي نحملهـا. فـأول خطـوة للشـفاء هـي تحديـد المشـكلة. لأنـه عندهـا فقـط يمكـن أن نبـدأ رحلـة الشـفاء، ليـس كأفـراد فقـط، بـل كمجتمـع. عندهـا فقـط يمكـن أن نكسـر حلقـة الصمـت ونـورّث فهمًـا، تعاطفًـا وسـلامًا.

الحـروب لا تقتـل النـاس أو تجرحهـم جسـديًا فقـط؛ بـل تدمـر أيضًـا الأسـس التـي تقـوم عليهـا حياتهـم. أثنـاء الحـرب وبعدهـا، انهـارت أعمـال نـاس وأفلسـوا ماليًـا، اختفـت وظائفهـم، انهـار اقتصـاد البـلاد، وارتفعـت الأسـعار. وجـدت أعـداد كبيـرة مـن المواطنيـن نفسـها بـلا مـأوى أو مـال. سـنوات مـن الكـدّ والجهـد ذهبـت أدراج الريـاح. هـم فقـدوا القـدرة علـى التفكيـر فـي

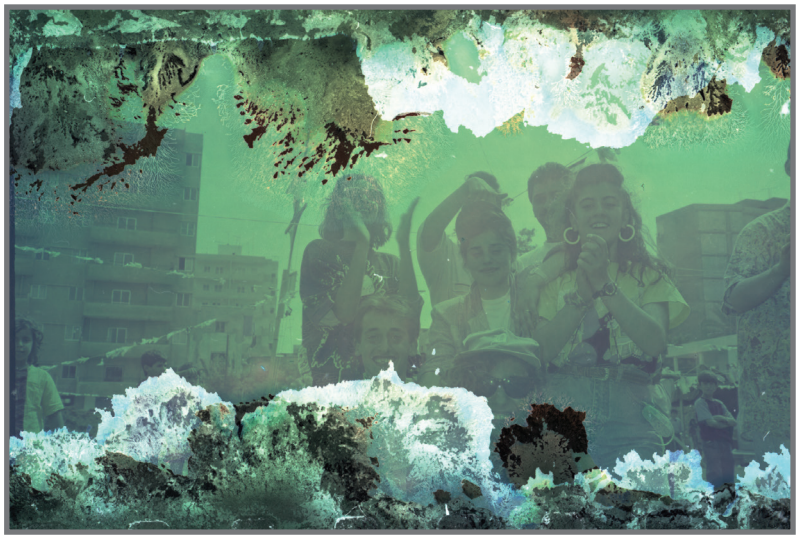

من أرشيف «أمم»

مسـتقبل أفضـل. كثيـر مـن العائـلات اضطـرت للبـدء مـن جديـد بـلا شـيء. أقفلـت مصانـع، دُمّـرت أعمـال، والمـواد الغذائيـة الأساسـية انقطعـت. حتـى هـذه اللحظـة، لـم يتعـافَ لبنـان بالكامـل مـن تلـك الأزمـة. اقتصـاد منهـار لا يعنـي الفقـر فحسـب، بل يعنـي اليأس، اللامسـاواة، وجيـلًا أُجبـر علـى البقـاء حيًـا بـدلًا مـن أن يعيـش. الحـروب توقـف الدراسـة، تؤجـل المسـتقبل، هاجـر الموهوبـون، وازداد نزيـف العقـول، فيمـا بقـي الآخـرون بـلا مـوارد كافيـة لتحمـل العـبء.

الأمـر ليـس مجـرد أرقـام وإحصـاءات اقتصاديـة؛ بـل هـو عـن النـاس. عـن الرجـل الـذي لـم يعـد قـادرًا علـى إعالـة أطفالـه؛ عـن الفـلاح الـذي لـم يعـد قـادرًا علـى شـراء البـذور؛ عـن صاحـب الـدكان الـذي لـم يعـاود فتـح متجـره؛ عـن الرجـل الـذي اضطـر لتـرك أفـراد عائلتـه وبلـده فقـط ليتمكـن مـن تأميـن احتياجاتهـم الأساسـية. ثِقـل الحـرب مـا زال حاضـرًا فـي سـوق العمـل اليـوم. إنـه شـكل مـن العنـف يسـتمر طويـلًا بعـد وقـف إطـلاق النـار.

لقـد وُلدنـا بعـد الحـرب، ومـع ذلـك مـا زلنـا نحملهـا بطـرق لا نسـتطيع شـرحها. ورث جيلـي صمتهـا، خوفهـا

وانقساماتها، من دون أن يعرف أسبابها. نشأنا على أسماء أحياء ومناطق قيل لنا ألّا ندخلها، وعلى أشخاص حُذّرنا من الوثوق بهم. حملنا جراحًا لم نتسبب بها، لكن طُلب منا أن نواصل حملها. من دون أن ندرك ذلك، وُلدنا في نظام تُنقَّل فيه الكراهية من جيل إلى آخر، غالبًا بلا سياق، عبر قصص يرويها الكبار الذين سمعوها بدورهم من غيرهم، من دون معرفة أصلها أو حقيقتها. تعلّمنا أن نحذر من أشخاص لم نلتقِ بهم، وأن نرث ثِقلًا لم يكن لنا من البداية.

لكن، انسوا/انسين كل ما سبق. في هذه الذكرى الخمسين لبداية الحرب، اخترت أن أؤمن. أؤمن أنه، شيئًا فشيئًا، يومًا بعد يوم، سنمضي نحو لبنان يحب جميع أبنائه وطنهم ويتطلعون إلى سلام. لبنان لا يتعايش فيه مواطنوه فقط، بل يهتمون ببعضهم البعض بصدق، بعمق، ومن دون خوف.